## الرسالة

(٢ تموثاوس ٢: ١–١٠)

يا ولدي تيموثاوس تقوَّ في النعمةِ التي في المسيحِ يسوع* وما سمعتَهُ منّي لدى شهودٍ كثيرينَ استودِعْهُ أُناساً أمناء كُفوءاً لأن يُعلِّموا آخرينَ أيضاً* احتمِلِ المشقَّاتِ كجنديٍّ صالحِ ليسوعَ المسيح* ليسَ أحدٌ يتجنَّدُ فيرتبِكُ بهمومِ الحياة. وذلك ليُرضيَ الذي جنَّده* وأيضاً إن كان أحدٌ يجاهدُ فلا ينالُ الإكليلَ ما لم يجاهِد جِهاداً شرعيًّا* ويجب أنَّ الحارثَ الذي يتعبُ أن يشتركَ في الإثمار أولاً* إفهم ما أقولُ. فليُؤتِكَ الربُّ فَهماً في كلِّ شيءٍ* أُذكرْ أنَّ يسوعَ المسيحَ الذي من نسلِ داودَ قد قامَ من بينِ الأموات على حسبِ إنجيلي* الذي احتملَ فيهِ المشقَّاتِ حتى

## حول الإنجيل

يظهر جليًّا، في الحادثة التي يرويها نصّ الإنجيل اليوم، التناقضُ الفظيع بين موقف الكتبة والفرّيسيّين وسائر معلّمي اليهود، وبين المرأة الأمميّة الوثنيّة المنتمية إلى نسلٍ ملعون (راجع تك ٩: ٢٥). الذين يحفظون الناموس، ومن أجلهم أُرسلت إعلانات الأنبياء، ينقادون لعمى قلوبهم ويقاومون يسوع (راجع مت ١٥: ١٠–٢٠)، أمّا المرأة التي تحيا «في كورة الموت وظلاله» (مت ٤: ١٦) فترى في يسوع، لا معلّمًا أو شافيًا فحسب، بل منبعًا للرحمة. هل من صرخة أقوى من طلب الرحمة؟ إشتعل فيها الإيمان بالربّ يسوع ما إن علمت بوجوده في بلادها، وسَعَتْ إلى لقائه. يقول النبيّ إشعياء: «أبصروا ما لم يُخبَروا به وما لم يسمعوه فهموه» (٥٢: ١٥). عبَّرت الكنعانيّة عفويًّا عن إيمانها ثلاث مرّات: الإستغاثة بالربّ يسوع كربٍّ ومسيحٍ وينبوعٍ للرحمة: «إرحمني يا ربّ، يا ابن داود»، إصرارها رغم أنّه لم يجبها بكلمة: «يا سيّد، أعنّي»، والحوار بينهما حول خبز البنين وصغار الكلاب. للرسول بولس كلام عن أنّ تنكُّرَ الشعب المُختار للنّعمة الإلهيّة «خبز البنين» فتح الباب للوثنيّين «الكلاب» إذ يقول: «لكن الآن رُجمتم بعصيان هؤلاء» (رو ١١: ٣٠). الذين لم يُرسل إليهم الأنبياء رأوا فأبصروا وقبِلوا، والذين من أجلهم أرسل الله شرائعه وإعلانات أنبيائه ظلّوا يحملون الكتب ويدّعون فهمها ويغالون في تفسيرها على ما يناسب أهواءهم. أصبحت هذه المرأة الوثنيّة «ابنةً لإبراهيم» لا بما مارسته من شريعة، بل من أجل ما أظهرته من إيمان عفويّ وعميق في آنٍ، إلى حدّ أنّها اتّخذت لنفسها مكانًا، منذ الآن، بين البنين ولو بفائق الاتّضاع.

ثمّة تناقضٌ آخر بينها وبين اليهود، حول لقب «ابن داود». هؤلاء فسّروا اللّقب المَلَكيّ ليسوع تفسيرًا بشريًّا سياسيًّا يتحقّق بالحرب

العدد ٢٠١٩/٦

الأحد ١٠ شباط

تذكار الشهيد في الكهنة خارالمبس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الرابع

والفتوحات والطغيان. أمّا هي، فبالفطرة الإيمانيّة التي أتت بها إلى يسوع، رأت فيه ملك السلام وينبوع الرحمات، رأته ملكًا «من جهة روح القداسة» كما يقول الرسول بولس (رو ١: ٤). قال الربّ يسوع عن نفسه إنّ «ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مت ٢٠: ٢٨)، كما يفعل الرؤساء والعظماء الذين يسودون الأمم ويتسلّطون عليها.

نعود إلى المرأة الكنعانيّة وقوّة إيمانها رغم تحدّيات الربّ يسوع القاسية لها، إذا جاز التعبير. بدءًا أظهر أنّه تجاهلها كلّيًّا إذ لم يجبها بكلمة، ثمّ تنكَّر لجنسها إذ قال إنّه لم يأتِ إلاّ من أجل بيت إسرائيل، وصولاً إلى تشبيهها بالكلاب التي لا يجوز لها أن تأكل من خبز البنين. موقف الربّ يسوع، إن بدا قاسيًا، لا يمكن فهمه إلاّ استخراجًا إلى العلن لِما في قلب المرأة الوثنيّة من إيمان، هو العالِمُ ما في قلبها، دلالةً على أنّ الخلاص يبدأ من حيث ظهرت الإعلانات الإلهيّة أوّلاً، ثمّ يعمّ العالم. أراد أيضًا أن يعلّم تلاميذه، وكلّ المنتمين إليه على مدى الأزمان، أن يتحرّروا من كلّ تزمّت عنصريّ ومن كلّ احتكارٍ لله وخلاصه. كان اليهود يصفون الوثنيّين بالكلاب، وتلاميذ يسوع انزعجوا من صراخ المرأة المسكينة، فكانت رسالة الربّ: مَن تعتبرونهم أنجاسًا ومزعجين يستحقّون أيضًا الرحمة والخلاص متى آمنوا. لا شكّ في أنّ الكنعانية فهمت، بإيمانها، قصدَ المسيح وأيقنت أنّه لا يريد إهانتها على الإطلاق. لهذا أتى جوابها حكيمًا جدًّا إذ قالت: «نعم يا ربّ، فإن الكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد أربابها». استطاعت الكنعانيّة الوثنيّة، بإصرارها واحتمالها المعاناة وعدم يأسها، أن تنال لابنتها رحمةً وشفاءً. يقول أحد آبائنا القدّيسين إنّه بفضل عمق إيمان المرأة وصدقه استطاع الربّ أن يشفي ابنتها، على عكس الحال في الناصرة وطنه، حيث «لم يصنع هناك قوّات كثيرة لعدم إيمانهم» (مت ١٣: ٥٨). هذا ولا بدّ لنا من أن نرى في إيمان الكنعانيّة إعلانًا رمزيًّا عن شمول بشارة الإنجيل الأرضَ كلَّها. يضع الناس بينهم حواجز وحدودًا، أمّا الله فنظرته واحدة إلى كلّ إنسان. الله «يريد أن جميع الناس يخلصون»، ووحده الإيمان يزيل الحواجز والحدود ويسهّل الطريق للبشارة.

يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم، في تفسيره لهذا المقطع، إنّ عمق إيمان الكنعانيّة سهّل عليها الإتّضاع إلى هذا الحدّ. قبلتْ أنْ تُحسَبَ حتّى من الخَدَم، أنْ تُحسَب كالكلاب التي يزدريها الناس، لكنّهم يُظهرون نحوها أحيانًا بعض الشفقة، فتأتي لتقتات ممّا سقط عن موائد الأسياد. لكن، في الوقت عينه، أثبتت المرأة، وشهدَ لها السيّد نفسه، أنّها لم تعد من الغرباء: الأسياد يسمحون لصغار الكلاب بالدخول إلى داخل الدار، والتقاط ما سقط عن موائدها. ما قبلتْ به الكنعانيّة قد يعتبره الناس إذلالاً: قد يتواضع الإنسان من تلقاء نفسه، لكن أن يُذلّنا مَن نأتي إليه طالبين المعونة، هذا هو الأمر الصعب. قبلت الكنعانيّة القيودَ كمُجرمٍ إلاّ أنَّ كلمةَ اللهِ لا تُقيَّدُ* فلذلكَ أنا أصبرُ على كلِّ شيءٍ من أجلِ المختارينَ لكي يحصُلوا هم أيضاً على الخلاصِ الذي في المسيحِ يسوع مع المجد الأبدي.

## الإنجيل

(متى ١٥: ٢١–٢٨)

في ذلك الزمان خرجَ يسوعُ إلى نواحي صورَ وصيدا وإذا بامرأةٍ كَنعانيَّةٍ قد خرجتْ من تلك التُخومِ وصرخت إليهِ قائلةً إرحمني يا ربُّ يا ابنَ داود، فإنَّ ابنتي بها شيطانٌ يعذِّبها جدًّا* فلم يُجبها بكلمةٍ. فدنا تلاميذهُ وسألوهُ قائلين إصرِفها فإنَّها تصيحُ في إثْرِنا* فأجاب وقال لهم لم أُرسَلْ إلَّا إلى الخرافِ الضالَّةِ من بيتِ إسرائيل* فأتتْ وسجدتْ له قائلةً أغِثني يا ربُّ* فأجاب قائلًا ليس حسناً أن يُؤخذَ خبزُ البنينَ ويُلقى للكلابِ* فقالت نعم يا ربُّ فإنَّ الكلابَ أيضاً تأكُلُ مِنَ الفُتاتِ الذي

يسقطُ من موائدِ أربابها*
حينئذٍ أجابَ يسوعُ وقال
لها يا امرأةُ عظيمٌ إيمانُكِ
فليكن لكِ كما أردتِ*
فشُفيتِ ابنتُها من تلك
الساعة.

## تأمل

لا يتعب الربُّ من سَماع شكوانا إليه طوال الوقت بل يتعبُ من خطايانا ومن عدم التماسنا معونته. فهو يريدُنا أن ندعوه في كلّ حين وأن نسكب قلوبَنا أمامه. يجب ألا تكون الصلاة أمراً نقوله ثم ننساه. فإن وقفتَ أمام أيقونة وقرأتَ صلواتك ثم ذهبتَ لتقوم بأعمالك فهذه ليست صلاة.

الإيمان القوي في قلب الإنسان يتطلَّب الصلاةَ ويُنتِجها في آن. وحياةُ الصلاة الممتدةُ طوال سنوات كثيرة تُنتج المحبة. ليس هدفُ حياتنا سوى تطهير قلبنا إلى درجة يصبح معها قادراً على الترتيل بفرح. وهكذا فإن صلاة القلب تقودُ إلى فرح القلب. وليس «إذلال» السيّد فأمست مثالاً يُشتهى إزاء الذين يعلّون شأنهم. تواضعت وعلّت في الوقت نفسه شأن الذي وضعها: ما أعدّه السيّد في العالم هو وليمة فائقة الجود والغنى، والكنعانيّة تكتفي، وهي في عمق شقائها، بشيء من الفتات. كأنّنا بها تقول: لن أتطاول، متطفلّةً، للجلوس إلى المائدة. يكفيني، من مائدة السيّد، الفتات الذي لن يقلّل من الوليمة.

أصبح سهلاً على هذه المرأة أن تتواضع لأنّها أحبّت، والذي يحبّ لا يقف عند حدّ. لهذا، لم يكتفِ الربّ يسوع بمدح إيمانها علانيةً، بل قال لها: «ليكن لكِ كما أردتِ»، وهذه لم يَقُلها لأحد قطّ.

## سرّ التوبة

«كانَ يوحنَّا يُعَمِّدُ في البرِّيَّةِ ويَكرِزُ بمعمودِيَّةِ التَّوْبَةِ لمغفرَةِ الخطايا» (مر ١: ٤). سرُّ التوبة في كنيستنا المقدّسة هو سرّ الفرح والقداسة بامتياز. التوبة دعوةٌ من الله الآب لكلّ واحد منّا لكي يدخل في شركة الفرح السماويّ الذي يتنعّم به معشر الملائكة وجماعة القدّيسين.

بداية التّوبة هي الوعي المسؤول لدى الإنسان لحاجته إلى تصحيح خللٍ في حياته وفكره، وإزالة حاجزٍ، أو أكثر من حاجز، يعيق علاقته مع الله ويجعل صلواته وجهوده الروحيّة شكليّةً لا فعاليّةَ حقيقيّة لها. هي حسّ داخليّ، وإدراك في قلب الإنسان أنّ في حياته أمورًا ليست على ما يرام.

التوبة يقظةٌ روحيّة في الإنسان. صحوةٌ من غفوة الخطيئة تؤدّي بالمرء إلى المسارعة نحو المسيح من أجل طلب معونته للخروج من حالة الظلمة والغفلة والإلتجاء إلى معونته العزيزة: «إستيقظْ أيّها النائم وقُم من بين الأموات فيضيء لك المسيح» (أف ٥: ١٤).

لا تدعونا الكنيسة أن نقبع تحت وطأة الشعور بالذنب. وعي الخطيئة لدينا هو المجال للتسلّح بالثقة برحمة الله وبمحبّته، وبيمينه العزيزة القادرة أن تبدّل ما اقتنيناه من عادات سيّئة، ومن أساليب معوجّة للعيش. الربّ يشاء أن يضمّد جراحنا ويداوي أسقام النّفس والجسد فينا. هذا لا يتحقّق إلاّ بالإلتجاء إلى الربّ يسوع والإعتراف له بما يشوّش صفاءنا.

في سرّ الإعتراف قوّةٌ من الروح القدس تزوّد الإنسان بكلّ ما يحتاجه من الطاقة لبذل جهدٍ نفسيّ وروحيّ حتّى يواجه التجارب ويتغلّب عليها. فيه قوّة إلهيّة تظلّل الإنسان وتحميه وتدرّبه، حتّى يقتني، مع الوقت، مناعةً روحيّةً وإرادةً ثابتةً على رفض الخطيئة ومسبّباتها. بهذا نبدأ مسيرة طويلةً، حلوةً، للتصالح مع الله والعيش في دفء وصاياه المخلّصة.

التوبة مسيرة عمرٍ. طريقٌ تستمرّ طيلة حياة الإنسان. دعوةٌ مستمرّة من محبّة الله الآب لنجدّد عهدَ طاعتنا له والإستنارة بأحكامه. هي دعوة للإلتصاق بالمسيح لكي يكون هو نور حياتنا والمصباح الذي يضيء سبيلنا في عتمة ليل العمر. الربّ يشاء أن يرافقنا في

دربنا. لا نستحي بخطايانا إن كشفناها له لكي يعالجها. هو الطبيب الذي يتعهّدنا ولا يتخلّى عنّا مهما أصبح جرحنا عميقًا أو تفاقم مرضنا الروحيّ.

بالتوبة يستعين الإنسان أيضًا بشفاعة القدّيسين. نطلب إليهم بصدق أن يمدّوا لنا يد المعونة كوننا لا نستطيع من دونهم أن نقف على أقدامنا ونتابع السير نحو بيت الآب. لطالما أرشدت السيّدةُ والدة الإله المؤمنَين التائبين على درب التوبة، واكتنفتْهم بنور شفاعتها، فكانت لهم خيَر معينة ومعزّية. كذلك القدّيسون الشفعاء لا يتوانون عن مؤازرتنا حين ندعوهم بإيمان وشوق.

التوبةُ شوقٌ للعودة إلى بيت الآب. شوقٌ لنوره ودفئه ومحبّته التي تُبلسم جراحات الإنسان، وتجعل منه ابنًا لله وارثًا لمجده الأزليّ وخيراته السرمديّة. لقد كان غيرُ قليلٍ من القدّيسين خطأةً ابتعدوا عن الله وأوغلوا في سيرة الضياع والتشتّت. إبتعدوا عن وصايا الإنجيل واختاروا لأنفسهم مسالك متعرّجة من صنع الإنسان ومن نسج كبريائه. لكنّ الآب الرؤوف رثى لحالهم وافتقدهم في قلب ظلمة السقوط، فعادوا إليه بثبات وأمانة، وصبروا على تجارب الحياة، حتّى تنقّوا وصار لباسهم أبيض «أكثر من الثلج» (مز ٥٠: ٧).

هذا، ويصف القدّيس يوحنّا اللّاهوتيّ في سفر الرؤيا محفل القدّيسين التائبين بهذه العبارات: «بعدَ هذا نظرتُ وإذا جَمْعٌ كثيرٌ لم يستطع أحدٌ أنْ يَعُدَّهُ، من كلِّ الأُممِ والقبائِلِ والشُّعُوبِ والأَلْسِنَةِ، واقفونَ أمامَ العرشِ وأمامَ الخروفِ، متسَرْبلِيَن بثيَابٍ بيضٍ وفي أيديهم سعفُ النَّخْلِ، وهم يصرخونَ بصوتٍ عظيمٍ قائِلِيَن: الخلاَص لإلهِنَا الجالسِ على العرشِ وللخروف. وجميعُ الملائِكَةِ كانوا واقفِيَن حولَ العرشِ، والشُّيوخِ والحيواناتِ الأَربعةِ، وخرُّوا أمامَ العرشِ على وجوهِهِمْ وسجدوا للهِ قائلينَ: آمينَ! البركةُ والمجدُ والحكمةُ والشُّكرُ والكرامَةُ والقدرةُ والقوَّةُ لإلهِنَا إلَى أبدِ الآبدينَ. آمينَ! وأجابَ واحدٌ منَ الشُّيوخِ قائلًا لي: هؤُلاءِ المتسربلونَ بالثِّيابِ البيضِ، مَنْ هم؟ وَمِنْ أينَ أتَوْا؟ فقلتُ لهُ: يا سيِّدُ، أنتَ تعلمُ. فقالَ لي: هؤلاءِ همُ الَّذين أتَوْا من الضِّيقةِ العظيمَةِ، وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف. من أجلِ ذلك هم أمامَ عرشِ اللهِ، ويخدمونهُ نهارًا وليلًا في هيكلِهِ، والجالسُ على العرشِ يحِلُّ فوقهم. لن يجوعوا بعد، ولن يعطشوا بعد، ولا تقع عليهم الشَّمسُ ولا شيْءٌ من الحرِّ، لأَنَّ الخروفَ الذي في وسط العرشِ يرعاهم، ويقتادهمْ إلى ينابيعِ ماءٍ حيَّةٍ، ويْمسَحُ اللهُ كلَّ دمعةٍ منْ عيونهم» (رؤ ٧: ٩–١٧).

**للإطلاع على أخبار الأبرشية:**

**www.facebook.com/metbei**
**أو**
**www.quartos.org.lb**

من أمرٍ صعب على الإنسان السعيد لأنه يملك المحبة.

الحياة على الأرض قصيرة جداً، قصيرة إلى درجة لا يمكن لنا حتى أن نتصوَّرها. ولكننا أُعطينا الكثيَر في خلال هذه الفترة الوجيزة التي نقضيها في هذه الحياة. وقد أُعطي لنا ذلك لكي نطلب الله دوماً من أعماق قلوبنا. هو الذي يستطيع أن يحوّل نفوسنا ويُقيمَها من موتها. يا لبَركة المسيحيين العظيمة جداً بالحقيقة لكونهم يملكون والدة الإله الكلية القداسة شفيعةً من أجلهم أمام عرش الله.

بإمكانكم أن تلاحظوا أيضاً أننا حين نطلب شيئاً من أهلنا هنا على هذه الأرض فإنهم يمنحوننا إياه، إن كنا بالطبع نؤدي لهم الطاعة. إن والدة الإله الكلية القداسة تصلّي إلى ابنها من أجلنا دون انقطاع.

الأب تداوس الصربي